

# تفسير قوله تعالى: وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَصُرُّوهُ شَيْئًا

..... { يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ } أكثر الله جل  
وعلا في القرآن من ذكر أن الموجودين إذا لم يطيعوه، ويمثلوا أمره فهو غني عنهم، قادر على إزالتهم وإزالتهم بالكلية،  
والإتيان بمن يخلفهم بل من يكونون خيرا منهم، وقد قدمنا هذا مرارا، وسيأتي أيضا. فمن الآيات التي بين بها هذا قوله  
تعالى في سورة النساء: { إِنَّ يَسَاءَ يَدُوهُمْ يَدُوهُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا } وقوله في الأنعام: { وَرَبُّهُ  
الْعَنِيُّ ذُو الْمَرْحَمَةِ إِنَّ يَسَاءَ يَدُوهُمْ وَيَسْتَحْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَسَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ } وقوله تعالى: { إِنَّ يَسَاءَ  
يَدُوهُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ } . وقوله في سورة القتال: { وَاللَّهُ الْعَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا  
يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } { مَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ رَبِّهِ قَسُوفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوهُمْ } ؛ أي بدلا من  
هؤلاء المرتدين، وهذا معنى قوله: { وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ } ؛ أي يأتي بقوم يجعلهم بدلکم خيرا منكم إذا استنفرُوا نفرُوا،  
ولا يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، كما دلت عليه هذه الآيات المذكورة؛ وهذا معنى قوله: { وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ } .  
وقد ذكرنا مرارا أن لفظة "القوم" اسم جمع لا واحد له من لفظه، يطلق في اللغة العربية الإطلاق الأول على الذكور خاصة  
دون النساء؛ لأنه وضع للذكور خاصة، وربما دخلت فيه النساء بحكم التبع إذا دل على ذلك قرينة. أما الدليل على أن  
"القوم" اسم جمع خاص بالرجال في أصل وضعه، فقوله تعالى: { لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ } ثم  
قال: { وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ } فعطفه النساء على القوم تدل على عدم دخولهن في اسم القوم. ونظيره من كلام العرب  
قول زهير بن أبي سلمى وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء فعطف النساء على القوم. وربما  
دخلت النساء في اسم "القوم" بحكم التبع إذا دلت على ذلك قرينة خارجية، ومنه قوله تعالى في سورة النمل: { وَصَدَّهَا  
مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ } وقوله: { وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَصُرُّوهُ شَيْئًا } . قال بعض  
العلماء: الضمير المنصوب في { تَصُرُّوهُ } عائد إلى الله؛ أي لا تصرُّوا الله شيئا بعدم امتثالكم أمره، ولا سعيكم في إعلاء  
كلمته، وهذا الوجه هو الذي يشهد له القرآن؛ كقوله جل وعلا: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ  
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَصُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا } . وتدل على هذا الآيات القرآنية الكثيرة أن الله غني عن خلقه الذين يدعوهم  
لطاغته؛ وإنما يدعوهم لنفعهم؛ فإمتثالهم نفعه لهم، وتمردهم ضرره عليهم؛ كما قال تعالى: { فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعْنَى اللَّهُ  
وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ } { إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَعَنِي حَمِيدٌ } { إِنَّ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنكُمْ وَلَا  
يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ } إلى غير ذلك من الآيات . وقال بعض العلماء: الضمير المنصوب عائد إلى النبي صلى الله عليه  
وسلم؛ أي لا تصرُّوا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك؛ لأن الله تكفل له بنصره، كما يأتي في قوله: { إِلَّا تَصُرُّوهُ فَقَدْ  
تَصَرَّهُ اللَّهُ } الآية.